

سجال المرجعية بين السيد الحيدري والسيد الخباز

وكعادته في تناوله للمواضيع التي تشغله الساحة الإسلامية؛ تطرق السيد الخباز في الليلة السابعة من شهر محرم لهذا العام 1434هـ لموضوع المرجعية الدينية في محاضرة له بعنوان "المرجعية صمام الأمان"، وهذا الموضوع شغل الساحة في الآونة الأخيرة بسبب الأطروحات التي قدمها السيد كمال الحيدري في هذا الشأن. ورغم أن السيد الخباز لم يذكر اسم السيد الحيدري في حديثه إلا أن الكثيرين فهموا من كلامه أنه المقصود منه، وذلك لأنه تطرق لبعض النقاط التي تحدث عنها السيد الحيدري، كما أنه رد بعض عباراته في مقام الرفض والاستنكار، إضافةً إلى أن أسلوبه وطريقته كانت في مجملها توحى بذلك.

وهذا الأمر هو ما جعل البعض -من مناويي السيد الحيدري- يروج للمحاضرة عبر وسائل الاتصال الحديثة وأضاً لها بعض الدليارات التي تصفعها بأنها ردًا على السيد كمال الحيدري والأطروحات التي قدمها حول المرجعية الدينية. ولا إشكال لدينا في الرد على السيد الحيدري وأرائه ما دام ذلك يتم بطريقة علمية هادئة ورزينة، فهذا الأمر مرحبا به لأنه يدل على وجود حراك فكري إيجابي في ساحتنا الإسلامية، غير أنني لم أرى في محاضرة السيد الخباز ما يمكن اعتباره ردًا حقيقياً على آراء السيد الحيدري، لأنه لم يكن يقصد بكلامه، بل لأنه لم يتكلم عن الأطروحات التي تحدث عنها السيد الحيدري بالنحو الذي يفندها ويثبت بطلانها.

المرجعية الدينية بين السيدين الخباز والحيدري.. عرض ومناقشة

سوف نقوم بعرض كلمات السيد منير الخباز حفظه [١]، ومن ثم سوف نقوم بعرض وجهة نظر السيد كمال الحيدري حول نفس النقطة، ولنرى بعدها إن كان ما قدمه السيد الخباز يمكن اعتباره ردًا حقيقياً وفعلياً على ما قدمه السيد الحيدري أم لا.

النقطة الأولى: (تشخيص الأعلم بين السهولة والمصوّبة)

تحدث السيد منير الخباز حفظه [٢] حول موقع المرجعية وقال بأنها تعني الخبر والأعرف بالدين (الأعلم)، وذكر لذلك ثلاثة وجوه، حيث تكلم في الوجه الأول عن مقبولية عمر بن حنظلة والتي تفيد أنه إذا اختلف عالمين فالحكم يكون لأفقهما ولأعدلهما، وفي الوجه الثاني ذكر أن سيرة العقلاة جرت على تقديم الخبر على غيره عند الاختلاف، وفي الوجه الثالث ذكر ما يعبر عنه بالأصل العقلي، وشرح ذلك بقوله: إذا دار الأمر بين مشكوك الحجية ومتيقن الحجية يقدم قول متيقن الحجية، فالأخذ بفتوى الأعلم والعمل بها هو متيقن الحجية، والأخذ بالعكس أخذ بما هو مشكوك الحجية، والعقل في مقام المعاذية وبراءة الذمة يوصي بما هو متيقن الحجية.

أما حول كيفية معرفة الأعلم (الخبر) فقال السيد الخباز: ((يعرف ذلك أهل الاختصاص وفي زماننا صار الأمر أسهل لكثرة وسائل الاتصال وانتشار البحث والآراء ورواج الكتب، فتحديد من هو الخبر والأدق صار أسهل من الأزمنة السابقة، لتتوفر وسائل الاتصال)) [٣] . وهذا ما يختلف عن ما ي قوله السيد الحيدري الذي يرى صعوبة ذلك، وفيما يلي عرض لكلامه.

السيد الحيدري وتشخيص الأعلم

تحدث السيد الحيدري عن مسألة التقليد والمعايير التي تتبع في اختيار المرجع، وقال: ((من أهم مسائل باب الاجتهاد والتقليل هي مسألة الميزان في تشخيص الأعلم والأكفاء، وعندما أقول الأكفاء لا أتكلّم عن البعد الإداري، وإنما أعني الأكفاء علمياً والأقدر عملياً أن يكون حسناً للإسلام، وحسناً لمدرسة أهل البيت عليهم السلام. إذاً القضية عندما أعتبر الأكفاء والأعلم، مقصودي الأكفاء والأعلم على حفظ ثغور مدرسة أهل البيت عليهم السلام، الأعلم على أن يدافع عن مباني مدرسة أهل البيت، وعلى أن يجعل الذين يعيشون في دائرة وكيف أهل البيت في أمن وأمان فكري وعقدي... وإذا لم يكن المتضمن عالم دين بالمعنى الذي أشرت إليه، كيف يمكنه أن يحفظ الدين، وفائد الشيء لا يعطيه؟ كيف يمكنه أن يكون حسناً

وسدّاً منيعاً أمام هجوم الأعداء؟^[2]). فالسيد يفرق بين المرجع الديني والمرجع في الحال والحرام^[3].

بعدها شكل السيد كمال الحيدري حفظه الله في فعالية المعايير التقليدية وحدها في عملية اختيار الأعلم كالشیاع، وسؤال أهل الخبرة، إذ يقول: ((في اعتقادی في المکان الذي نعيش فيه لا يمكن الاعتماد على هذه المضواط مئة بالمئة؛ لأنها لن تنتج النتائج الصحيحة في الأعم الأغلب، خصوصاً عندما تتسع الحوزات العلمية)).

ويردف قائلاً: ((الله لو كانت عندنا حوزة علمية، وفيها مئة طالب وهناك ثلاثة أساتذة بحث خارج، يمكن لشخص أن يقول: هذا هو الأعلم، ولكن لو أتبنا لحوزة كحوزة النجف بتاريخها وبأعلامها، كيف يمكن لشخص واحد أن يطلع على تراث كل هؤلاء الأعلام ويشيخ من بعدها بأن هذا هو الأعلم؟ كيف إذا أضفتنا إليها حوزة قم التي فيها زهاء ٦٠ ألف طالب وعشرين - إن لم أقل المئات - من الأعلام والأساتذة، كيف يمكن لشخص واحد أو عشرة أو بذئنة أو عشر بذئنة أن يحدّدوا الأعلم؟ كيف نستطيع أن نقف على كل تراث هؤلاء؟ خصوصاً ونحن نعلم بأن جملة من هؤلاء لا يوجد لديهم تراث مكتوب، بل قد نجد أثره في عصر واحد أن هذا البيّنة يقول هذا أعلم... وذلك يقول ذاك أعلم، وإذا نجد عندنا خمسين بذئنة كل يقول عن شخص: هذا أعلم!!)).^[4]

أما عن الشیاع فيتحدث السيد الحيدري قائلاً: ((وأما الشیاع في عصر ثورة الاتصالات والفضائيات، فإن إيجاد الشیاع أسهل ما يكون... وهذه لا أريد أن أسقط اعتبارها، ولكن أريد أن أقول إنها ليست طرقاً آمنة ومطمئنة للوصول إلى الهدف)).

ويضيف موضحاً: ((ووجدت كلاماً لأحد كتاب المحققين، ويعتبر صاحب الميزان السيد الطباطبائي يعني عنه بأنّه قال: أحد أعلام المحققين، إشارةً للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء؟ سُئل رحمه الله عن هذه القضية: على القول بوجوب تقليد الأعلم، هل يتبعون بالشیاع في زماننا هذا، مع شيوخ بعض الأغراض الفاسدة من الأغراض السياسية، أم لا بدّ من قيام البيّنة، وإذا تعارضنا فأياً تهماً مقدمة؟)).

ويشرح السيد الحيدري السؤال قائلاً: ((أي إذا وقع تعارض في الشیاع أنَّ فلاناً هو الأقدر والأكفاء للتتصدي أو فلان، فما هو الميزان في ذلك؟)).

ثم يقول مجيباً: ((يذكر الشيخ كاشف الغطاء ميزاناً مهمّاً جداً بعد مقدمة مفصلة لا أريد أن أشير إليها لأنها ستأخذ وقتاً كثيراً. طبعاً السيد القاضي الطباطبائي المعشّي على الكتاب، ينقل هذا الكلام عن الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء عن حاشية له على كتاب سفينة النجاة، يقول: ذكرنا في تعاليقنا على كتاب سفينة النجاة، الجزء الأول ص ٢٨ طبعة ٦١ ، ما هو المعيار الصحيح الذي لا ميل فيه ولا حيف... يقول: وما أكثر المدعىين لهذا المنصب، ولاسيما في هذه العصور التعيسة! وما أكثر المخدوعين بهم جهلاً أو لغرض، والغرض يعمي ويمّم ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، وقد ذكرنا أنَّ أحسن معيار عن صدق هذه الدعوى وكذبها [يقصد صدق المدعى للأعلمية وللمرجعية] هو الإنتاج العلمي وكثرة المؤلفات النافعة، وأن طريقة الإمامية من زمن الأنئم إلى عصرنا القريب هو أن المرجعية العامة والزعامة الدينية تكون لمن انتشرت مؤلفاته كالشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسي الذي تکاد مؤلفاته تزيد على الأربعين مئة [ولكن ليس كلّها في الحال والحرام فقط، بل أيضاً في (التفسیر، والعقائد، ودفع الشبهات، والكلام، والحديث)] (والشيخ المدقوق الذي لديه ثلاثة مؤلفات، وهكذا هو الميزان الصحيح، والمعيار العادل إلى زمان السيد بحر العلوم صاحب المصباح، والشيخ الأكبر صاحب كاشف الغطاء إلى الشيخ الأنباري)).^[5]

فالسيد الحيدري إذاً يرى أن هناك آلية في ذلك وهما:

الآلية الأولى: كتابات المرجع وتراثه. أي: أنت تنظر إلى تراثه الذي كتبه، ومن خلال ذلك تعرّف على علميّته.

الآلية الثانية: مقدار تدریسه في الحوزات العلمية. ليس الحضور فقط، بل التدریس؛ لأنه قد يكون حاضراً ولا يدرّس، وهذا لا نستطيع أن نقيّمه^[6].

وبعد ذكره لهاتين الآليتين يطرح السيد الحيدري هذا السؤال: أين ذهب الشیاع الذي يذکرونه في الرسائل العلمية؟

ويجيب عليه بقوله: ((ليس المراد من الشياع الشياع بين عموم الناس؛ لأنّ عموم الناس ليسوا من أهل الخبرة والمتخصصون في هذا المجال، بل المراد الشياع بين أهل الخبرة والمتخصصين في الحوزات العلمية. فإذا شاع بين المتخصصين وأهل الخبرة والعلماء في الحوزات العلمية أنّ فلاناً من كبار المتخصصين فلا إشكال ولا شبهة أنّ هذا الشياع يدلّ على مرجعيته. ولكنّ متى يحصل هذا الشياع متفرّع على الآلية الأولى أو على الآلية الثانية. يعني إما من خلال مؤلفاته وتراثه يتعرّفون على آرائه المتخصصة الأولى، أو من كبار المتخصصين والأعلام، وإما من خلال حضوره العلمي. ولا قيمة للشياع الذي لا يرتكز على هاتين الآليتين. إذاً أنا أعتقد أن من أهمّ الآليات هاتين الآليتين: الأولى: تراثه العلمي؛ والثانية: مقدار حضوره العلمي في الحوزات العلمية. وبترتّب على هاتين الآليتين آلية الشياع، فإذا كان الشياع ناشئاً من هاتين الآليتين تكون له قيمة، أمّا إذا كان الشياع ناشئاً من الإعلام أو من أسباب أخرى، فإنّ مثل هذا الشياع لا قيمة علمية له)) [17].

(أخي الكريم تستطيع ان تكمل الموضوع من خلال تحميل الملف كاما)

[للمطالعة وتحميل الملف كاما اضغط هنا](#)